نصب الجندي المجهول وأعمال أخرى للنحات خالد الرحال

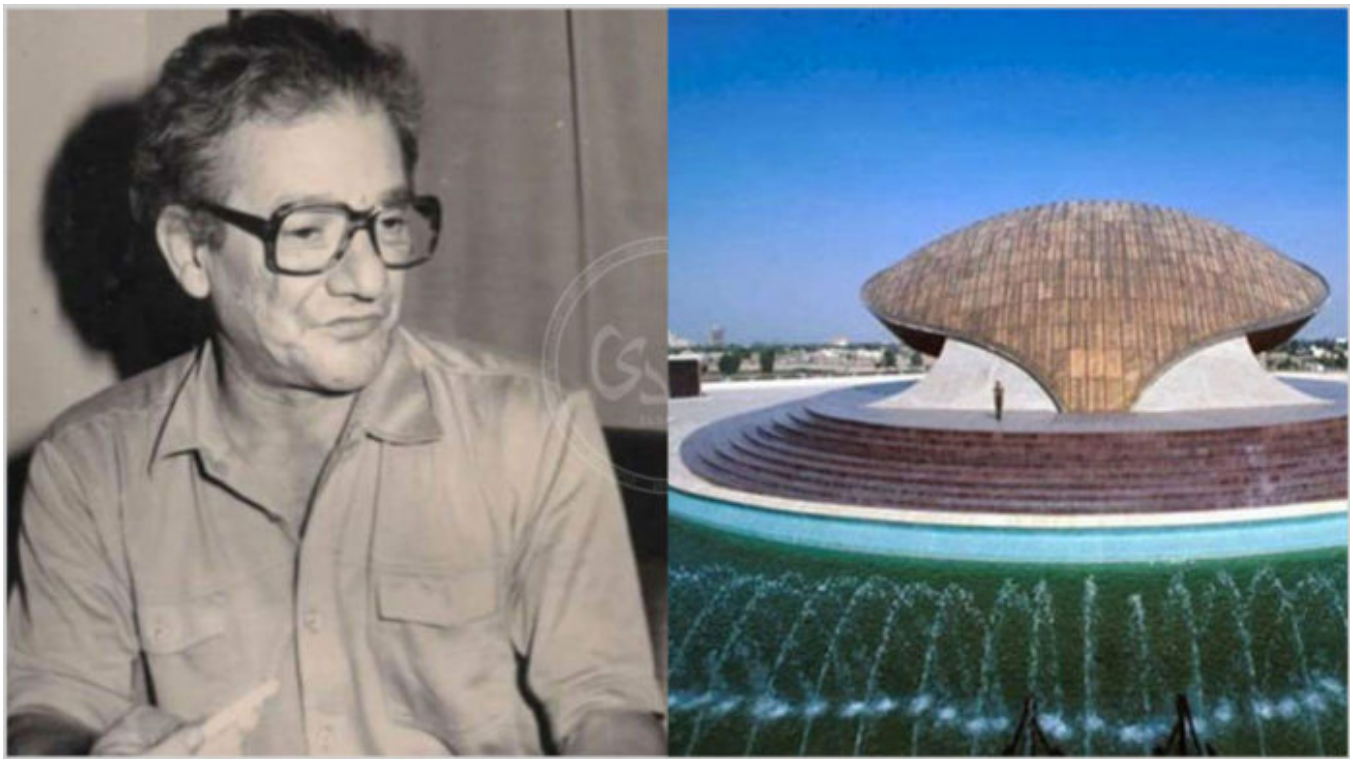

بعد أختيار نموذج النحات خالد الرحال في المسابقة بعمل يمثل (الجندي المجهول) الذي تم تشييده عام 1980, وأفتتاحه عام 1983. أستمعت إلى اللقاء ألذي تحدث عن كيفية إختيار هذا التصميم النحتي، من خلال الإذاعة أتذكر وأنا في الخطوط الأمامية من الحرب آنذاك، حينها أشار بأنني عندما كنت جالس في إحدى أماكن الأسترخاء في إحدى دول الخارج، وعلمت بأن هنالك مسابقة لإقامة نصب الجندي المجهول، حينها تحفزت بأنفعال وحماس ورغبة قوية.. أدى إلى سقوط الصحن من يدي على الطاولة ألتي أمامي، حينها كان سقوط الصحن على الطاولة بشكل مائل. عقب ذلك تركزت في ذهني محور منبع أساسيات العمل المقترح، وبعدها تم إضافة الأفكار للأجزاء الأخرى، طبعا الإضافات الأخرى وحسب معلوماتي بعضها من المهندسين المصممين للعمل، لأن تنفيذ النصب والتكوينات المعمارية تحتاج إلى إضافات وإقتراحات أو إلغاء بعض الأمور الجزئية غير المناسبة للبناء والتكوين، كان هذا الموجز والبداية ألتي أنجزها ألفنان النحات – خالد الرحال – لنصبح الجندي المجهول،

أما فيما يخص نصب (قوس النصر) السيفين المتعانقات في نهايتهما من الأعلى يتوسطهما العلم العراقي، تمسك السيفين أيادي شخص، يقال بأنها أيدي الرئيس السابق قبل 2003، لقد شخصت ملاحظة تم الإشارة لها، من قبل الرئيس السابق عند الإفتتاح، وهي مفاجئته وأستيائه من إختلاف أوجه كفوف الأيدي لمسك السيوف، أي كف وجهه للأمام والآخر نحو الخلف، قالها إلى النحات – محمد غني حكمت – ألذي أكمل العمل بعد وفاة خالد الرحال، أشارلماذا

حصل هذا لقج تفاجات به ، تلك الأمور كنت أراقبها للتدوين لتتلائم مع مهمتي ككاتب وتسجيل محتويات تلك الإنجازات الفنية. فيما يخص تفسير وأسباب أختيار نصب الجندي المجهول عالميا, هي أن من نتائج الحروب هي الدمار وضياع جثث الضحايا منذ وجود الإنسان، على الكرة الأرضية، بعد الإنفجار السكاني (الديموغرافي) ألذي قاد الإنسان إلى إدخار المنتوجات للضمان وبسبب المنافسة. .

أو هو بداية مايسمى بالمفهوم الإقتصادي (بفائض القيمة) والتي تحولت إلى غزو وصراعات تؤدي إلى إنتصار جهة على أخرى تحولهم بعدها إلى عبيد (نظام الرق) وهكذا توالت الصراعات بعضها أعتنق العقائد لأغراض تعزيز القوة للمنفعة الخاصة وتباينها عن الجهات الأخرى، كي تصبح أقل قوة. . وهكذا توالت الصراعات بطرق متعددة إثنية، قومية، دينية، عقائدية، جغرافية، وتتشعب الصراعات بين نفس الجهة، كلها عوامل إقتصادية منفعية وسلطوية،وقد ضاعت ضحايا جثث القتلى أبان الحرب العالمية الأولى والثانية أكثر بسب تطور أسلحة الدمار من سيوف إلى أسلحة حديثة وصلت إلى مستوى النووي والكيمياوي، والآن في طريق التصاعد والإبتكار بالمنافسة لدى الدول المتقدمة المضادة للدول الكبرى أمريكا وروسيا وفرنسا وبريطانيا من قبل كوريا الشمالية مثلا. وهكذا تصبح الأجساد الضائعة في المستقبل ليس للجنود فحسب، وإنما عامة الناس المدنيين. لقد كانت ضحايا الجنود المفقودة قاسية جدًا على الناس وخاصة أهالي الجنود، فبجانب موت الجندي، قد لا يتم التعرّف على جثته ويبقى مجهولًا، إنه (الجندي المجهول) الجندي المجهول، هو ألذي يسقط في معركة ولا يتم التعرّف على هويته، وقد بدأت تسميته بهذا الإسم منذ الحرب العالميّة الأولى، حيث سقط الكثير من الموتى وكان الكثير منهم مجهولوا الهويّة،

لذلك نشأت حركة حينها وأسمتهم بالجنود المجهولين، وقد تم دفنهم في مقابر موحدّة. وكانت أشهر نصب تذكاري للجنود المجهولين، مقبرة أرلينغتون الوطنية في ولاية فرجينيا هي أحد هذه المقابر التي تم دفن الكثير من الجنود المجهولين فيها تتواجد في أمريكا، ويطلق الناس عليها اسم "Tomb of the Unknown Soldier"، أي مقبرة الجنود المجهولين. وتوجد في هذه المقبرة معايير مخصصة للحرّاس الذين يتواجدون بشكل دائم عند هذه المقبرة، حيث يجب أن يتحرك للأمام 21 خطوة، ثم ينتظر 21 ثانية، ويعود 21 خطوة. والسر في رقم 21 هو أنه يدل على أعلى التشريفات العسكرية مرتبةً وهو Three Volley، حيث يتواجد 7 جنود في هذا التشريف، وكل منهم يطلق 3 طلقات. والجندي المجهول تقليد أتبعته بعض الدول الأوروبية وبعض دول الشرق بعد الحرب العالمية الأولى.لقد عملوا هذا النصب بسبب أن جثث الكثيرين من الجنود الذين لقوا حتفهم في المعارك لايمكن التعرف عليها.

وقررت حكومات كل من بلجيكا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية، تكريم ذكرى هؤلاء الجنود بطريقة خاصة. فقامت كل حكومة بأختيار جندي مجهول رمزي ودفنه في العاصمة القومية، أو بالقرب منها، ثم بنت نصبا تذكاريا أو ضريحا تكريما له.وتفيد المعلومات بأنه يعود أول ضريح للجندي المجهول إلى عام 1858 وهو ضريح "جندي المشاة" في فريدريكا في الدنمارك بعد حرب سكيلسفيغ الأولى ويعود ضريح مهم آخر إلى عام 1866 الذي وضع في الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث الحرب الأهلية هناك بين الشمال والجنوب لكن بداية الأمر كتقليد فعلي أخذت مكانها بعد أحداث الحرب العالمية الأولى والتي بلغ عدد الضحايا والجنود الذين لم يكن بالإمكان التعرف على هويتهم عدداً هائلاً ويعتقد أن بداية التقليد أخذت طريقها من تأسيس ضريح الجندي المجهول تحت ما يعرف بقوس النصر في باريس عام 1920. ولقد سبق الجندي المجهول الحالي للنحات خالد الرحال نصب الجندي المجهول في ساحة الفردوس إنه نصب تذكاري يرمز للجنود المجهولين الذي ذهبوا ضحية الحروب في العراق، ولقد صممه المهندس المعماري العراقي

رفعت الجادرجي في عقد الستينيات من القرن الماضي. وأزيل هذا النصب في عهد الحكومات الاحقة.

لقد نظرت ذلك تاريخيا كي نثبت بأن نصب الجندي المجهول لايمكن أزاحته.. لأنه لايتعلق بنظام وأشخاص أنما رمز

لمراحل عديدة يمر بها البلد سواء قبل أحداث الحرب العراقية الأيرانية أو الأحداث التي جرت بعد التغيير.. ولازالت هنالك ضياع للجثث منها جنود سبايكر وغيرهم في مراحل لاحقة. وفي مايخص منجز النحات – خالد الرحال – أنه مَعْلم فني يضفي سمة عصرية وشعورًا بالفخامة المعمارية للعاصمة بغداد، ينبغي الحفاظ عليه بالرغم من وجهات النظر المعارضة، كونه يتزامن مع الحروب السابقة ألتي سببت ضحايا كثيرة للمجتمع العراقي. بالرغم من ذلك فإنه يعد من بين معالم النصب المهمة في بغداد من بينها نصب الحرية لجواد سليم ونصب الشهيد للنحات إسماعيل فتاح الترك، والبعض يعتبره رمزاً لقوة العراق وتضحية الأبناء من أجل الوطن. ويمثل أحد معالم بغداد الشاخصة، وهو يخلد ضحايا العراقيين الذين سقطوا دفاعًا عن بلدهم بوجه الطامعين. يفسر رمز النصب بأنه عبارة عن صحن طائر مفتوح يمثل درع محارب تقليدي، مفتوح إلى السماء ليعبر عن حالة التسامي الروحي للشهيد مع الله. كما يضم النصب متحفًا تحت الأرض، يضم الكثير من الرموز التي تذكّر العراقيين بالحرب التي تم خوضها مع إيران. وإن تقنيات البناء ومواده تعود إلى فترة الثمانينات وهي تقنيات تبدو قديمة اليوم قياسًا إلى أساليب وتقنيات تأسيس النُصُب في الوقت الحاضر".كان تشييده عام 1980أي بداية الحرب العراقية الأيرانية, لقد أوصى الراحل خالد الرحال، أن يدفن في المكان نفسه، في نصب الجندي المجهول. ويقع النصب في ساحة كبرى صُمّمّت للإحتفالات، حيث أقيم بجانب نصب الجندي المجهول، وقوس النصر في العام 1989،

لتصبح المنطقة مليئة بالرموز التي تخلد أحداثا مهمة في تاريخ العراق. يبدو النصب من بعيد مثل هضبة أصطناعية عالية، يتركز في محورها سارية العلم العراقي المنحوت بشكل أسطواني. وشُيّد الصحن من مواد لا تتعرض للصدأ ولا تتأثر بالظروف الجوية. وفي أرجاء المكان يلمس المشاهد تناغمًا رائعًا بين الفولاذ والنحاس والرخام والزجاج. و يحتوي الدرع على سبع طبقات من المعدن في دلالة على السماوات السبع في العقيدة الإسلامية. والبعض يشير إلى أن مادة الاكريليك الأحمر بين الطبقات والتي تخلد دماء الشهداء الذين سقطوا في ساحات المعارك. إلا إنني لا أضن مادة اللون هي أكريليك لأن هذه الألوان تتأثر بالحرارة والرطوبة في التغيير والتلف، لذلك من المحتمل الألوان هي من الفريسكو.

كما إن الإهمال خلال الحرب والفوضى الأمنية أدى إلى تلف تقنيات المكان، ولم تعد الكثير من مرافقه تعمل، ومنها الأضواء التي تشع أمام الزائر بصورة تلقائية عبر النوافذ والأبواب على هيئة مشاعل ملونة. ومن المصادرماتشير الى أن القبتين ترقدان على منصة دائرية قطرها 190 متراً وأسفلها يوجد متحف ويبلغ ارتفاع القبتين 40 متراً وهذا الطاقم باكمله يرقد وسط بحيرة صناعية واسعة وقد كلف الخزينة العراقية ربع مليار من الدولارات وقامت ببنائه شركة أجنبية وفقا لمواصفات صارمة وضعتها مؤسسة اوف اروب وشركائها للاستشارات الهندسية التي اشتهرت بتصميمها لمبنى دار الأوبرا في سيدني كما تولت تنفيذ مختلف مراحل التصميم التفصيلي ورسومات التشغيل مجموعة من المهندسين العراقيين الشباب وكلهم درسوا في جامعة بغداد للهندسة المعمارية. كما ان النصب يحتل رقعة فسيحة مساحتها حوالي 42 هكتارا .والمجسم المكعب تحت درع من سبع طبقات من المعدن، لتمثيل الطبقات السبعة من السماء كما ورد في العقيدة الإسلامية.

وداخل طبقات المعدن ورقة من الاكريليك الأحمر، وقيل هي لتمثيل دماء الجنود العراقيين القتلى. ويتم توصيل المكعب نفسه إلى المتحف تحت الأرض بواسطة رمح طويل مع النوافذ التي تسمح للضوء للتألق في المبنى من فوق. وفي داخل المتحف يمكن للزوار النظر للسقف ويصل روءية الضوء من خلال الفتحات الهندسية التي تؤدي إلى المكعب أعلاه. وفي فناء ما تحت الأرض يوجد المتحف وهو مضاء، ولكن يصل إليه النور من أعلاه من النوافذ والأبواب من خلال فتحات هندسية. وفيه قاعة فارغة والتي كانت تعرض العديد من الآثار عن الحرب العراقية الايرانية. و للنحات خالد الرحال غرائب في بعض أعماله ومن أطرف هذه الآثار الفنية التي يوزعها الفنان من حوله، الأعمال التي يرسمها للأشخاص الذين يعتقد أنهم يمتازون بشكلهم أو حضورهم الكارزمي في المجتمع.

ومن غرائب ذلك قيام النحات خالد الرحال، بعمل تمثال نصفي من الجبس للحاج مهدي الصفار صاحب حمام مهدي الشهير في بغداد، وقد صنعه سنة 1946 حين بدأ يتردد على الحمام كزبون أعجبته الخدمة في الحمام، ومالكه الحاج صاحب التمثال الذي ينتصب في مدخل الحمام إلى هذا اليوم. وللفنان خالد الرحال أعمال أخرى متنوعة من النصب منها تم أزالتها في مدينة العلاوي مقابيل المتحف العراقي, وأعمال أخرى لازالت مخلدة منها تمثال الأم وأبنها, تمثال أبوجعفر المنصور, وأعمال أخرى مختلفة الأحجام والمواضيع.